مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 5 السنة: 2020
ص: 82 - 94 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الأدب النسوي مفهومه وخصوصياته الفنية؛ بحث في المقاربات النقدية عند "عبد الله إبراهيم"

Feminist literature, its concept and artistic peculiarities ; a study of critical approaches by "Abdullah Ibrahim"

* أحلام الواج

Ahlem louadj[1]

جامعة يحي فارس بالمدية (الجزائر)، مخبر اللغة وفن التواصل

University of Yahia Fares- Media/ Algeria

ahlemlouadj1993@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/04/15	تاريخ القبول:2020/10/26	تاريخ النشر: 2020/12/25

ملخص البحث

تُحاول هذه الدّراسة الكشف عن المقاربات النّقدية عند "عبد الله إبراهيم" حول الأدب النّسوي من خلّال معالجته مسألة التّعدّد المصطلحي، واختياره للمصطلح الأقرب للتّعبير عن هذا النّوع من الأدب، وكشفه عن مدى مساهمة الأدب النّسوي في منح الرّواية العربية الحديثة خصوصيات فينة جديدة، ومدى قدرته على التّعبير عن الواقع الّذي تعيشه المرأة، حيث اتّخذت المرأة من الكتابة ملاذا لها للتّعبير عن مدى استيائها من القهر الرجولي، وقد استطاعت الكاتبات النّسويات ولوج الحياة من خلال الكتابة، وقد حلّل " عبد الله إبراهيم" العديد من الروايات النّسوية وعالجها من زوايا مُتعدّدة، وبيّن مدى انفراد الرواية النسوية بخصوصياتها الفنية عن الكتابة الذكورية.

الكلمات المفتاح :الأدب النسوي ـ كتابة النساء ـ الكتابة النسوية ـ النقد النسوي ـ الفكر النسوي.

Abstract :

This study attempts to reveal the critical approaches of "Abdullah Ibrahim" on feminist literature by addressing the issue of term diversity, and his choice of the closest term to express this type of literature, as well as he revealed the extent to which the feminist literature contributes to give the modern Arab novel new art peculiarities , and the extent of his ability to express the reality which the woman lives, as the woman took from writing a haven for her to express her dissatisfaction with man oppression, and the female writers were able to enter life through writing. Abdullah Ibrahim analyzed many feminist novels and dealt with them from multiple angles, and showed the extent to

* حلام الواج: ahlemlouadj1993@gmail.com

which the feminist novel, with its technical specificities, is unique from male writing.

Keywords: Feminist literature - Women writing - Feminist writing - Feminist criticism - Feminist thought

مقدّمة

يعتبر الأدب النّسوي إحدى الظّواهر الأدبية الحديثة في السّاحة الأدبية والنّقدية، إذ أنّه يركّز على المسائل النسوية وقضايا المرأة التّحررية، وقد شغلت مسألة الكتابة النّسوية حيزا هاما في دراسات "عبد الله إبراهيم" النقدية، حيث عالج هذه المسألة من جوانب متعدّدة بدءا من الكتابة النسوية كمصطلح وتعدّد تسميات هذا النّوع من الأدب مرورا بأهم العوامل الّتي أدّت إلى ظهوره وصولا إلى خصوصياته الفنية والشكلية، وأهم الموضوعات الّتي عالجتها المرأة المبدعة، ومدى تمكّنها من الوصول إلى مبتغاها، وتقديمها لصورة حية حول الواقع الّذي عاشته سابقا والّذي تعيشه في الوقت الراهن، فالأدب النّسوي حسب ما توصل إليه "عبد الله إبراهيم" ظاهرة ثقافية تستدعي البحث عن المرجعيات الفكرية والثقافية الّتي أسهمت في ظهور هذا النوع من الأدب، وفي ظل ظهور العديد من الإقصاءات الّتي سلبت المرأة حقوقها في شتى المجالات لا سيما فيما يتعلّق الأمر بالجانب الإبداعي دعا "عبد الله إبراهيم" إلى مبدإ الشّراكة والخروج عن حدود التّبعية للآخر.

أولا– الأدب النّسوي مفهومه وطبيعته الفنية

تعدّدت المصطلحات الّتي أُطلقت على هذا النّوع من الأدب، نجد من بينها "الأدب النسوي"، و"الأدب النسائي"، و"الكتابة الأنثوية"، وغيرها، وكانت البدايات الأولى لهذا النّوع من الأدب عند الغرب، ثمّ انتقل إلى العرب بفعل العديد من العوامل والمؤثّرات، وقد «**جاء استخدام المصطلح في الثّقافة والأدب العربيين في مرحلة كان فيها النّقد النّسوي في الغرب يُحاول أن يؤسّس قاعدة نظرية للكتابة النّسوية الأمر الّذي انعكس على عملية استيعاب حدود المصطلح ودلالته وأسسه النّظرية والمنهجية، وسيبقى على هذا الحال إلى أن تظهر الكتابات النّقدية العربية الّتي تؤسّس له نظريا**»[1].وفي الفترة الّتي بلغ الأدب النّسوي الغربي أوجه تشكّلت البدايات الأولى لهذا النّوع من الأدب في الوطن العربي، ولم يستقر على مفهوم واحد وإنّما اختلف

باختلاف النقاد والباحثين في هذا المجال، كما تعدّ التّرجمة من أهم العوامل الّتي أدّت إلى تعدّد المصطلحات.

حاولت المرأة أن تُبرز ذاتها من خلال إبداعها، وتمكّنت من التّخلّص من النّظرة السّلبية الّتي ظلّت لصيقة بها فترة طويلة من الزّمن، واسترجعت حقوقها الضّائعة، ومن هنا أصبحت تُعبّر عن ذاتها بالطريقة الّتي تريد «**وهذا كلّه كان بعد أن جسّدت المرأة جبهة صراع مع الرّجل من ناحية المضامين والرؤى، فطالبت بالحق في التّعليم والانتخاب والعمل والحرية الإنسانية... ممّا يعني وجود كتابة نسوية تنفرد بخصوصية المرأة وقضاياها الذاتية في الحياة والمجتمع**»[2]. حيث أصبحت المرأة تنافس الرّجل في مختلف المجالات، واتّسمت كتاباتها بخصوصيات فنية تختلف عن كتابات الرّجل من خلال الحديث عن جسدها وعن أنوثتها، كما قامت بالرد على الرّجل من خلال الكتابة، وقلّلت من شأنه وشوّهت صورته، واحتقرته، وقد خرجت كتاباتها عن نسق العادات والتّقاليد المعروفة وتجاوزت القيم الّتي كانت سائدة في المجتمع، هذا ما جعل كتاباتها تتعرّض للانتقاد فيما بعد.

كما يعالج الأدب النسوي كلّ ما تكتبه المرأة عن الرّجل، وكل ما يُعبّر عن نظرتها لذاتها، وللآخر (الرجل).

ثانيا–الأدب النسوي من منظور "عبد الله إبراهيم"

عالج "عبد الله إبراهيم" الأدب النّسوي من زوايا متعدّدة، ودعا إلى ضرورة «**التّفريق بين كتابة النّساء، والكتابة النّسوية، فالأولى تتمّ بمنأى عن الرّؤية الأنثوية للعالم وللذات إلاّ ما يتسرب منها دون قصد، وقد تماثل كتابة الرجال في الموضوعات والقضايا العامة، أمّا الثّانية فتتقصّد التّعبير عن حال المرأة بخاصة استنادا إلى رؤية أنثوية للذّات وللعالم، وتتمّ في إطار الفكر النّسوي، وتستفيد من فرضياته، وتصوراته، ومقولاته، وتسعى إلى بلورة مفاهيم الأنوثة، ونقد النّظام الأبوي**»[3]. حيث فرّق "عبد الله إبراهيم" بين الكتابة النسوية وكتابة النّساء، ورأى بأنّ الكتابة النّسوية المصطلح الأقرب للتّعبير عن حال المرأة ومعالجة قضاياها المختلفة، ومن خلالها تتمكّن من الخروج عن سيطرة الرّجل، إذ خلقت لنفسها عوالم جديدة ساعدتها على استرجاع مكانتها في المجتمع، ونقدت المجتمع الذكوري، كما تمّ الاحتفاء بجسدها هذا ما أدى إلى تشكّل معالم الكتابة النسوية، إضافة إلى أنّ وعي المرأة بذاتها وبالعالم الخارجي منحها فرصة للتّحرر من

هيمنة الثّقافة الأبوية، فبعد أن كانت المرأة تابعة للرجل وتخضع لهيمنته وسيطرته تمكّنت من إثبات وجودها واسترجعت مكانتها وأصبحت تنافسه في شتى المجالات«**وفي العموم تعالج الكتابة النّسوية هوية المرأة ومصيرها في عالم يتحوّل ببطء، ويتبع في ذلك توتّر في علاقة المرأة بنفسها وبعالمها، فإذا كنّا وجدنا أنّ المرأة الغربية تعيش منفصلة نفسيا وذهنيا عن زوجها الشّرقي في رواية "كم بدت السماء قريبة!!" رافضة أي نوع من الاندماج، فإنّنا نجد المرأة الشرقية، على العكس، تنفصل كلية عن الرجال الشرقيين، وتجد نفسها مع الغربيين الّذين يحتفون بها وبأنوثتها، كما ظهر ذلك في رواية "خارج الجسد" ورواية "امرأة ليس إلاّ..."**»[4]. فالكتابة النّسوية تهتمّ بالتّعبير عن كلّ ما يتعلق بالمرأة، وترصد أهم التّحولات الّتي تطرأ عليها في المجتمع، وقد قدّم "عبد الله إبراهيم" العديد من النّماذج الرّوائية الّتي تصوّر علاقة المرأة الغربية بالرّجل الشّرقي، وفي المقابل جسّدت العلاقة بين المرأة الشّرقية والرجل الغربي، وحسب هذا الموقف فإنّ المرأة الشرقية إن لم تجد في بلدها من يقدّر أنوثتها ومشاعرها فإنّها تحقّق هذا الغرض في المجتمع الغربي، ومن هنا فإنّها تسهم في تخريب قيم الرجل الشرقي، والأمر نفسه ينطبق على المرأة الغربية، وعليه فإنّ المرأة تلجأ إلى الآخر رغبة منها في تحقيق مبتغاها، كما إنّ الشعور بالنقص ورغبتها في اكتشاف فضاء الآخر من أهم العوامل الّتي دفعتها إلى الاستعانة بالرجل الغربي، فمجالات الأدب النسوي لم تقتصر على علاقة المرأة بالرجل، وإنّما عالج أيضا علاقة المرأة البيضاء مع الزنجية، وغيرها، فمسألة الأنا والآخر تجسّدت في العديد من المواقف.

اتّسم الأدب النّسوي في بدايات تشكّله بمجموعة من الخصائص «**ولعلّ إحدى أبرز الظواهر الّتي لازمت الفكر النّسوي في بواكيره الأولى، الوهم القائل بالتّماثل، أي أن تصبح الأنثى حرة بمقدار محاكاتها للذّكر، وهي فكرة سرعان ما واجهت نقدا في الأدبيات النسوية، حينما تبين أنّ الهدف لا صلة له بالتّماثل، إنّما الاختلاف المانح لهوية الأنثى، وقد انخرطت الكاتبة اللبنانية "إلهام منصور" في تمثيل هذه القضية بكتاب ملتبس الهوية، جاء بعنوان "حين كنت رجلا"، وهو يستند إلى قاعدة نظرية –فكرية جاءت بصورة بحث ملحف بالكتاب بعنوان "نحو تأسيس قول نسوي"**»[5]. ففكرة التّماثل لا يمكن أن تتحقّق، وإن حاولت المرأة أن تتقمّص شخصية الرّجل وتقوم بمحاكاتها فإنّها لا تفلح في ذلك، ولا يمكنها التحرّر من سيطرته وهيمنته بصفة نهائية، كما تجدر الإشارة إلى أنّ المرأة المبدعة تمكّنت من خلق عوالم سردية خاصة

بها تلك العوالم تعارض فيها قيم الأبوة، وأسهمت في خلخلة تلك القيم، وعالجت مسألة هويتها ونددّت بحريتها، لكن هذا لا يعني أنّ الكتابة النسوية كشفت عن هوية المرأة الحقيقية، وإنّما قدّمت تمثيلا مختزلا لها.

وقد أشار "عبد الله إبراهيم" إلى أنّه «**من الصحيح أنّ المرأة تبوّأت مركز السّرد في الرّواية، لكنّها بقيت منجذبة إلى الآخرين بشكل سلبي، وأسيرة لسلطتهم الرمزية؛ فالآخرون هم الّذين صاغوا مصيرها، وقرّروا مسار حياتها، ورسموا المجال العام لها، أو أسهموا بدرجة كبيرة في كل ذلك، فالسّرد ركّز على كيفية تفتيت الذّات الأنثوية أكثر من تركيزه على تكوين تلك الذّات، وتشكيلها**»[6]. حيث قام الرّجل بصياغة المعالم الّتي ينبغي للمرأة أن تسير وفقها، وبهذا فقد أسهم في تدمير الذّات الأنثوية، وجعلها في أدنى المراكز، وبالتّالي فهي لا تخرج عن حدود الأنساق الّتي رُسمت حولها، وبالرّغم من بروز العديد من الأعمال الرّوائية الّتي كانت من إنتاج المرأة فإنّها لا تخلو من ذكر الرجل ومحاولة الانقاص من قيمته، في حين نجد أنّ الرجل لم يذكر المرأة في كتاباته، ويبقى «**الجانب النّسوي غائبا في الإبداع الرجولي و إذا حضر فإنّما يحضر كلذة و جسد فقط لا غير، فالمرأة يمكن القول عنها شبه غائبة في كتابات الرجل بوصفها كائن غير مرغوب فيه وجدير بالذكر، وقد زاوج المجال الأدبي في رسم صورة المرأة و الجمع بين متناقضين، فمن جهة صورها ملهمة للخيال الشعري و الأدبي، ومحركا لوجدان الشّعراء و عواطفهم، ومن جهة في الحياة العلمية والأعمال الأدبية فقد صوّرها في إطار المعاناة والقهر وأنّها تقف عائقا في طريق الرجال وما جعلها على هذا الحال هي تركيبتها البشرية البيولوجية الّتي حدّدت لها وضعا ثانويا**»[7]. جعلت السّلطة الأبوية المرأة كائنا ضعيفا تابعا لسلطة الرجل وهيمنته، ومن هنا أصبحت مجرد جسد لا تتعدى وظيفته الوظيفة البيولوجية، لكن المرأة اتّخذت من جسدها وأنوثتها عنوانا لهويتها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ اللّغة تعتبر أداة من أدوات السّيطرة والهيمنة، ذلك أنّها تحمل في طياتها العديد من الأنساق الثّقافية الّتي تشتغل بطريقة ضمنية، فمن خلال كتابات الرجل فقدت المرأة مكانتها في المجتمع، ومن هنا انصب اهتمام الأدب النسوي حول المرأة المبدعة، ثمّ ظهر النّقد النّسوي الّذي أسهم في رفع مكانة المرأة في المجتمع، وبيّن تحدّيها للرجل في مجال الكتابة، وهذا ما كشفت عنه العديد من الروايات النّسوية، «**ولعلّ النّقد النّسوي يعدّ أحد المعالم الّتي أفرزتها**

الحركات النّسوية حول الجسد الأنثوي للمرأة، وهدفه تأكيد خصوصية الأدب النّسوي باعتباره تمثيلا لعالم المرأة، وبين أنّ تلك الخصوصية تستمد شرعيتها من خصوصية النّوع الإنساني للمرأة، ومن التّنميط الثّقافي لها، ومن طبيعة جسدها؛ لأنّها تنتظم في سلسلة علاقات ثقافية ونفسية مع العالم من جهة ومع ذاتها من جهة أخرى، وهي علاقات بمقدار ما كانت في الأصل طبيعة، فإنّها بفعل الإكراهات الّتي مارستها الثّقافة الذكورية، أصبحت مشوّهة، وملتبسة؛ لأنّ المرأة اختزلت إلى مكوّن هامشي، وصار جسدها موضوعا لتنازع ديني واجتماعي، واقتصادي وثقافي»[8].حيث يسعى النقد النّسوي إلى دراسة النصوص الّتي أنتجتها المرأة المبدعة، والكشف عن الصورة التّي ترسمها المرأة حول الرجل، كما يكشف عن خصوصيات الكتابة النسوية، والرّد على الصور النمطية الّتي هيمنت على المرأة فترة طويلة من الزمن، ويهدف النقد النسوي إلى استيعاب الكتابة النسوية الّتي أهملت من قبل الرّجل، وتمّ بفضله إدخال العديد من الأعمال الأنثوية إلى الساحة النقدية وتمّ دراستها من ناحية اللغة والأسلوب، وطريقة تركيب الجمل، وتوظيف المحسّنات البيانية، وغيرها، كما رصد التجربة الأنثوية، ومدى إدراكها لذاتها وللعالم الخارجي .

وقد «**بدأ النّقد النسوي كممارسة معترف بها في نهاية عقد الستينات من القرن العشرين بمشروع لإعادة قراءة التراث الأدبي التقليدي المكون من نصوص أدبية عظيمة، وتحدى النّزاهة المزعومة لتلك النّصوص، والتشكك في سلطتها الدائمة باعتبارها أفضل ما تمخض عنه الفكر والتعبير الإنساني**»[9]. فالبدايات الأولى للنقد النّسوي كانت مطلع السبعينات من القرن العشرين، وكشف عن العديد من الأنساق المضمرة في النّصوص الأدبية، ومدى تأثيرها على الإنتاج الأدبي من جهة، وعلى القارئ من جهة أخرى، ومقابل النقد النّسوي نجد النّقد الذكوري، الّذي يندّد بالحريّة المطلقة للمجتمع البطريركي، مع رفضه التّام للجنس الآخر (المرأة)، وقد تمّ التّعامل مع النّصوص النّسوية بنفس الطّريقة الّتي يتم التعامل بها مع المرأة، حيث«**تقول إيلمان أنّ النقاد الذّكور يعاملون الكتب الّتي تؤلفها النّساء دائما كما لو كانت النصوص نفسها نساء، وبذا يفرضون عليها نفس الأنماط التي تميز التفكير في النساء عموما، فكتابات النساء تتهم بأنها عديمة الشّكل ، محدودة، غير عقلانية، مفرطة في الانفعالية، ولا تتّبع قواعد الكتابة**»[10]. فمثلما نُظر إلى المرأة على أنّها هامشية، وتمّ احتقارها، والتقليل من مكانتها في

المجتمع تمّ التقليل من شأن كتاباتها، باعتبار أنّها تفتقر لوحدة الشّكل، وينقصها التّماسك الفني، ولا تتّبع قواعد الكتابة الأدبية، فالثقافة الأبوية قامت بتشويه صورة المرأة ، من هنا يمكن القول أنّ فكرة التّمركز حول الذّات هي الّتي تدفع إلى التّقليل من شأن الطّرف الآخر.

أشار "عبد الله إبراهيم" إلى أنّ بنية النصوص السّردية في الكتابة النسوية، تختلف في شكلها وموضوعها عن كتابات الرّجل، حيث «**يعدّ الجسد إحدى الرّكائز الأساسية في موضوعات الرّواية النّسوية العربية، وغالبا ما تنهض فرضية الأدب النّسوي على تقريظ الجسد الأنثوي، وتمجيده والاحتفاء به، أو كشف تحولاته في ظل ثقافة قامعة لحريته، أو منتقصة منها**»[11]. أصبح الجسد الوسيلة الّتي من خلالها يتم التّعبير عن ذاتية المرأة وهويتها هذا ما جعله يحتل مساحة واسعة في الأدب النسوي الّذي يعبر عن قضايا المرأة ويدافع عن حريتها ويثبت وجودها، والّذي خلّصها من تلك النظرة الدونية الّتي رسمها الرجل حولها وظلّت لصيقة بها فترة طويلة من الزمن، «**يمثّل الجسد الأنثوي إذن أحد المحاور الّتي دارت حوله الرّواية النّسوية العربية، ودرجة الاهتمام به تختلف بين نص وآخر، وفيما لا توليه بعض الروايات إلاّ اهتماما عابرا، تحتفي به أخرى، وتنهمك في رسم تفاصيله، واستيهاماته، فيكون مثارا للإعجاب والحفاوة، والرّغبة، وهي حفاوة تقود إلى ظهور السّرد الكثيف الّذي ينشغل بالجسد، دون أن يدمج ذلك في سياق الحكاية**»[12]. حيث تمّ الاهتمام بالجسد في الرّواية النّسوية العربية، وذلك من أجل إعادة الاعتبار للمرأة، وفي هذا الصدد عالج "عبد الله إبراهيم" العديد من الروايات النسوية الّتي احتفت بالجسد ووظّفته بطريقة جمالية، حيث يشير إلى «**إنّ رواية "خارج الجسد" لـ"عفاف البطاينة" تعرض نقدا جذريا لفكرة الأبوة الشرقية القائمة على القهر المباشر، والمتعمّد للأنثى، فالمسار اللولبي لسيرة "منى" وتحوّلاتها النفسية، والفكرية والجسدية، يكشف طبيعة الإكراهات الّتي تتعرّض لها الأنثى في مجتمع يتخيل أنّ حرية المرأة، مهما كانت طبيعتها ودرجتها خطر يتهدّد أركانه، ومقوماته، فيمارس قمعا مركبا ضدها ليحول دون زحزحة تصوراته الطهرانية عن نفسه؛ فالأنثى في تصوّر الثّقافة الأبوية كائن شفاف قابل للانكسار في أية لحظة**»[13]. حصرت النزعة البطريركية جسد المرأة ضمن الوظيفة البيولوجية لا غير، فرواية "خارج الجسد" نقدت النّزعة الذّكورية الّتي كانت تسود الشّرق، والّتي بموجبها تمّ احتقار المرأة والتّقليل من شأنها في المجتمع، وبالتّالي ينبغي عليها أن تسير في حدود الصّورة الّتي يرسمها الرّجل حولها.

كما«**تفصح رواية "امرأة من طابقين" عن الهوية الهشة للأنثى، فهي، بسبب الوعي المستحدث بنوعها الجنسي، وبسبب عزوف الثّقافة الذكورية عن الاعتراف بها إلاّ في كونها وسيطا للمتعة، أو موضوعا لها، تكتشف ذاتها كائنا ضعيفا تتجاذبه الأهواء أكثر من الاختيارات الواعية** »[14]. فتأثير تبعية المرأة للرّجل بقي ممتدا في كتاباتها، حيث أصبحت تحاكي الرجل في طبيعة الموضوعات المعالجة، وصوّرت ذاتها على أنّها كائن ضعيف، لا يستطيع تسيير شؤونه دون أن تستعين بالآخر «**تركب الرؤية الأنثوية في الكتابة السّردية النّسوية العربية عالما تتعرّض فيه الأبوية–نظاما وثقافة– إلى التّأزّم الّذي يفضي إلى الارتباك، ثمّ الانهيار، لكنّها لا تقترح بدائل، ولا تجرؤ على ذلك، وموقع الأنثى في ذلك العالم السّردي المتخيّل يتراوح بين الرّغبة في الهروب من سلطة الأب بوصفه كابحا لرغباتها الجسدية، أو مقاومتها، أو الاستجابة لها إثر بدائل لا تفضي إلى نتيجة تحقّق التّوازن في حياة المرأة**»[15]. ومن خلال الكتابة تمكّنت المرأة من تمزيق عالم الرجل، وكان ذلك نتيجة إحساسها بالنّقص ورغبة منها في تحطيم قيوده وتشكيل عوالم خاصة بها، تخرج بحدودها ونسقها عن كتابات الرجل «**فالمرأة أخذت منذ بداية الخليقة إلى يومنا هذا مكانة سياسية واقتصادية ودينية واجتماعية، ومشكلة المرأة متوغلة في قدم التّاريخ فهي لم تحصل على حقوقها الإنسانية على اختلاف الثّقافات والحضارات والديانات وبقيت على هامش الحياة ذليلة ومقهورة فإنّ التاريخ البشري لم يعط للمرأة من الحرية والمكانة ما أعطى للرجل فقد كرّس فوقية الذكر الفحل وهامشيته أو دونية المرأة، ومن ثمة كانت السيادة للثّقافة الأبوية على حساب الثقافة الأموية**»[16]. فمسألة هامشية المرأة ظهرت منذ القدم، وبقيت هذه الصورة لصيقة بها إلى أن ظهر الأدب النسوي وحاول استرجاع مكانة المرأة، وردّ على الرجل بطريقة حضارية تجسّدت في الكتابة، وبالرغم من المحاولات الّتي قامت بها المرأة في هذا المجال إلاّ أنّها لم تتمكّن من التّحرّر من هيمنة الرّجل بصفة نهائية. «**وبعد الإشكاليات الّتي قامت المرأة بإثارتها برزت العديد من المنابر الّتي اهتمّت بهذه الفئة المهمّشة والمبعثرة وفتحت لها آفاقا واسعة لمعرفة خبايا المجتمع وخلفياته الذّهنية وتراكماته الفكرية، فنجد أنّ موضوع الإبداع النّسائي كان يشكّل ظاهرة غير مألوفة في التّاريخ الأدبي والفني في العالم بأسره، إلاّ أنّه سرعان ما قامت المجتمعات البطريركية بتحرير المرأة حتى أصبحت المرأة إنسانا متكاملا عقلا وروحا وجسدا عندها تفجرت الكتابات الّتي تعالج قضايا**

المرأة والمجتمع»[17]. فمسألة الكتابة النسوية تعدّ ظاهرة حديثة في السّاحة الإبداعية العربية والغربية على السواء، فاسترجاع المرأة لحريتها كان بترخيص من المجتمع الذكوري، ومن هنا أصبحت تعالج قضاياها وانشغالاتها وقضايا المجتمع، فهي تحمل صورة الوطن، وصورة الأم والزوجة والحبيبة لذلك لا يمكن أن يتشكّل المجتمع بمعزل عنها.

وقد «**ربط الفكر النّسوي بين الذّكورة باعتبارها مفهوما ثقافيا واجتماعيا، وبين الرّغبة في الهيمنة على الآخرين، والسّيطرة عليهم، وبخاصة النّساء، وبهدف مراجعة هذه العلاقة، وتفكيك أواصرها تبنت "ليندا جين شيفرد" نموذج "كارل يونغ" للذكورية والأنثوية للوصول إلى علاقة مبنية على الشّراكة والتّواصل، ذلك أنّ علم نفس الأعماق الّذي دشّن له "يونغ" قدّم تعريفا للذكورية والأنثوية أكثر مرونة ممّا هو شائع عنهما**»[18]. فالعلاقة بين المرأة والرّجل تكاملية، ولا ينبغي حصرها في حدود الهيمنة والتّبعية هذه الفكرة الّتي أسهم الفكر النّقدي في ترسيخها في السّاحة الأدبية والنقدية.

كما «**امتثلت مقولات الفكر النسوي، بشكل عام، للثّقافة الغربية وتأثّرت بها، واصطبغت بطيفها، وبخاصة المركزية الغربية القائلة بشمولية العقل الغربي العابرة للأعراق والثّقافات، فظهر ما اصطلح عليه بـ"النسوية البيضاء" أي الفكر النّسوي الغربي الّذي عمّم مشكلة المرأة الغربية باعتبارها مشكلة كونية تخصّ النّساء قاطبة في كل مكان، وجرى تصنيف نسوي تخطى مفاهيم العرق، والثّقافة والطبقة، وركّز على الجنوسة فعزل جنس النّساء، ونظر إليه على أنّه المستهدف من الثّقافة الأبوية**»[19]. فالأدب النّسوي لم يقتصر على علاقة المرأة بالرّجل فحسب، بل يعالج مسألة المرأة البيضاء ونظرتها إلى المرأة السّوداء، حيث أصبحت المرأة البيضاء في المركز بينما السّوداء في الهامش «**فليست الثّقافة الذّكورية هي وحدها المسؤولة عن تفريق مكونات المرأة، وإعادة توزيعها إلى هويات ثانوية صغيرة ينتقص كل منها قيمة المرأة، إنّما شرعت المرأة تستجيب لذلك، وتروج لهذه الصورة النّمطية، إذ جرى التّركيز على صفات قائمة بذاتها في المرأة تحجب عنها المزايا الجوهرية للكائن الإنساني، وجرى تصويرها كدمية خالية من الموقف الواضح سوى التّمنعات، والتّخيلات. أصبحت المرأة تدعم ثقافة قائمة على التّنميط النّوعي الصّارم للذّكور والإناث**»[20]. فتبعية المرأة للرّجل

وقبولها لجميع الأنساق الّتي رُسمت حولها، دفعها إلى الأخذ بتلك الأنماط الجاهزة، وأصبحت تساند الرجل في رسم تلك الصورة النمطية حولها.

«**وعلى هذا تكون النسوية: كل جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعة، أو مساءلة أو نقد، أو تعديل، النّظام السّائد في البنيات الاجتماعية، الّذي يجعل الرّجل هو المركز، وهو الإنسان، والمرأة جنسا ثانيا، أو كائنا آخر في منزلة أدنى، فتفرض عليها حدود وقيود، وتمنع عنها المشاركة لأنّها امرأة**»[21]. فكل ما هو متعلّق بالبنية الاجتماعية والتّحولات الّتي تطرأ عليها، والأفكار الّتي تُعطي المركزية لجنس على حساب الآخر من اهتمامات النسوية، فهي تقوم على أساس الثّنائية الضدية، «**يلاحظ أنّ الفكر النّسوي ركّز الانتباه كثيرا على مبدأ الثّنائيات الضدية، فلكي يرتسم مفهوم النسوية واضحا، فلا بد من عرضه على شاشة الفكر النقيض، وهو الفكر الأبوي**»[22]. فحتى تتّضح دلالة النّسوية لابد من ربطها بضدها، حيث لا يمكن الفصل بين الرجل و المرأة ، فهما عنصران متكاملان، «**تكشف الرواية النسوية العربية جملة من الظواهر الفنية المتماثلة والمتكررة، وفي مقدمتها تمركز السرد حول الأنوثة حيث يصار إلى تأكيدها والاحتفاء بها من خلال الجسد كعلامة، مع الإيحاء بالهيمنة المضمرة للذكورة التي تتوارى في تضاعيف السرد**»[23]. حيث وجدت المرأة في الجسد السّبيل الوحيد الّذي يمكّنها من معالجة موضوعات تختلف عن موضوعات الرجل «**ومن بين ما أولته النسوية من اهتمام، فقد اهتمت بتفكيك ركائز المجتمع التّقليدي، لأنّه الحاضن الشرعي لكافة ضروب الإقصاء والاختزال الّتي لحقت بالمرأة عبر التاريخ، فعليها وقع العبء، وجرى تشويه كيانها الإنساني**»[24]. حيث قامت النسوية بالخروج عن حدود الأفكار الّتي رسمت حولها، وحاولت رسم صور تعبر عن واقعها ، وتصحّح الأفكار الّتي هيمنت عليها فترة طويلة من الزمن، «**صوت النساء الّذي ظل مكبوتا داخل المؤسسة الأدبية لزمن طويل، وهو صوت يعتمد خبرة النّساء الجمالية في بعث قضايا المرأة أدبيا**»[25]. حيث أصبح صوت المرأة مسموعا، وتمكّنت من رسم عوالم خاصة بها، ورغم المجهودات الّتي بذلتها المرأة في مجال الكتابة إلاّ أنّ« **ثمة دراسات نقدية نظرت إلى الرواية النسائية على أنّها سيرة ذاتية كما تنطوي معظم تلك الآراء على إدانة كتابات المرأة بالذاتية وتقيسها بوضعها الاجتماعي والثقافي**»[26]. وباعتبار أنّ المرأة عبّرت عن ذاتها، فكتاباتها لم تخرج عن حدود السّيرة الذّاتية، هذا ما جعل أدبها يتعرّض للاحتقار والانتقاص من مكانته، وبالتّالي لم

يحظ بنفس الاهتمام الّذي حظي به أدب الآخر، وظهرت فكرة« **المنطوق الذكوري أقوى، وينبغي أن تتبناه النساء إذا ما أردن إحراز مساواة اجتماعية مع الرجال**»[27]. لذلك أصبحت المرأة تكتب بلغة الآخر وهذا من نقاط ضعف أدبها، وقد أثار الأدب النّسوي جدلا كبيرا في السّاحة الأدبية والنقدية، حيث أصبح يتجاذبه طرفان مؤيد ومعارض، وبعد أن قطع الرجل بإبداعه أشواطا كبيرة، مازالت المرأة في بداية مشوارها الإبداعي.

خاتمة:

إنّ الدّارس لموضوع الأدب النسوي يجد نفسه أمام إشكالية تعدّد المصطلحات حول هذا النّوع من الأدب، فكل باحث يقدم آراءه الخاصة في هذا المجال، إضافة إلى أنّ الأدب النسوي ينفرد بخصوصياته الفنية والجمالية عن غيره من الأعمال الأدبية الأخرى، وهذا ما كشف عنه "عبد الله إبراهيم" في مقارباته النقدية لهذا النّوع من الأدب، وقد توصّلت في هذا البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

*فرق "عبد الله إبراهيم" بين الكتابة النسوية وكتابة النساء ورأى بأنّ الكتابة النّسوية المصطلح الأقرب للتّعبير عن حال المرأة ومعالجة قضاياها المختلفة.

* إنّ الكتابة النسوية حسب تنظيرات "عبد الله إبراهيم" كانت نتيجة العديد من المرجعيات الفكرية والثقافية، الّتي بينت مدى فاعلية المرأة في الكتابة وقدرتها على رصد الواقع الّذي تعيشه المرأة ورصد أهم الموضوعات الّتي عالجتها ومن هنا ظهرت مسألة الثنائية الضدية الّتي تعبر عن الصراع بين الرجل والمرأة فبعد أن كانت المرأة خاضعة لمركزية الرّجل وتسير وفق حدود ما يمليه عليها، تمكّنت من إبراز ذاتها والتّعبير عن بنات جنسها، واتّخذت من الجسد موضوعا لإبداعها الروائي.

*عبّرت بعض الكاتبات النّسويات بلغة الآخر، فبالرّغم من المحاولات الّتي قامت بها المرأة للتّخلّص من هيمنة الرجل إلاّ أنها لم تتمكّن من كسر كل الحدود والحواجز.

*حاول "عبد الله إبراهيم" الكشف عن إسهامات المرأة في مجال الإبداع الروائي لتجاوز هيمنة الفكر الذكوري وكسر تلك القيود الّتي جعلها تسير وفقها فترة طويلة من الزّمن.

*شهدت الرواية النّسوية تطوّرا ملحوظا في السّاحة الأدبية العربية، فبعد أن سيطرت السلطة البطريركية على الإبداع سواء كان نثرا أو شعرا، تمكّنت المرأة من استرجاع مكانتها من خلال إثبات

هويتها، وتعزيز مكانتها في المجتمع، وأصبحت تنافس الرجل في مختلف مجالات الحياة، واتّخذت الكتابة النسوية خصوصياتها الفنية من خلال الموضوعات الّتي تطرّقت إليها.

* أسهم السّرد النّسوي في إعادة تشكيل الهوية الأنثوية، وتوصّل "عبد الله إبراهيم" إلى أنّ الكتابة النسوية اهتمّت بالمظاهر الخارجية، وبالتّالي فإنّها قدّمت عوالما مختزلة تحتاج إلى التّغيير، وهي في تطوّر مستمر يساعد على السير بالأدب النّسوي العربي نحو الأفضل.

*ظهر الأدب النّسوي نتيجة تفاعل العديد من العوامل حصرها "عبد الله إبراهيم" في النقاط الآتية: نقد الثقافة الذكورية، والتعبير عن عالم المرأة ونقد الثقافة الأبوية، واعتبار الجسد عنصرا فعالا في الكتابة النسوية ، ونتيجة امتزاج هذه العوامل تشكّل الأدب النسوي.

هوامش:

[1]- مفيد نجم، الأدب النسوي إشكالية المصطلح، مجلة علامات في النقد، العدد57، 2005م، ص 161-162.

[2]- حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2008، ص3.

[3]- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2008، ص248

[4]- المصدر نفسه، ص369.

[5]- المصدر نفسه، 287

[6]- المصدر نفسه، ص313.

[7]- نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، بيروت، ط1، 2003، ص651.

[8]- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج2، ص379.

[9]- بام موريس، الأدب والنسوية، ترجمة سهام عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2002، ص77.

[10]- المرجع نفسه، ص84

[11]- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج2، ص379.

[12]- المصدر نفسه، ص385.

[13]- المصدر نفسه، ص321

[14]- المصدر نفسه، ص333-334.

[15]- المصدر نفسه، ص369.

[16]- محمد عبد المطلب، ذاكرة النقد الأدبي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 2008، ص93.

[17]- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 1428هـ-2008م، ص113

[18]- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج2، ص256

[19]- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج2، ص259.

[20]- المصدر نفسه، ص335.

[21]- المصدر نفسه، ص248-249.

[22]- المصدر نفسه، ص249

[23]- المصدر نفسه، ص406.

[24]- المصدر نفسه، ص284

[25]- ماجدة سعيد، صورة المرأة في الثقافة العربية، مرويات الجاحظ نموذجا، مجلة محاور، العدد 1، 2004، ص204.

[26]- أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2005، ص95

[27]- بيتر ويدسون ورامان سلدن، النظريات النسوية، ترجمة محمد النعيمي، مجلة أفكار، ع 159، 2001، ص24.